خطاب صاحب الجلالة إلى الأمة
في الذكرى الرابعة والثلاثين لعيد العرش المجيد

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، يوم 2 شوال 1415هـ موافق 3 مارس 1995، خطابا الى الشعب المغربي، بمناسبة الذكرى الرابعة والثلاثين لتربع جلالته على عرش أسلافه الميامين.

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز،

حمدا لله في البدء على ما أسبغ علينا من منه وكرمه وما أفاض علينا من أفضاله ونعمه ومن بينها نعمة تجديد اللقاء بينك وبيني في هذا اليوم المبارك السعيد حيث نحتفل معا بذكرى عيد العرش المجيد ، ذكرى الامجاد والمفاخر التي انتهت إلينا متوارثة وممتدة من كابر الى كابر .

وها نحن نلتقي مرة أخرى في هذا اليوم الأغر، أيها الشعب الوفي الأبر لنحتفل بالذكرى الرابعة والثلاثين لتربعنا على عرش أجدادنا الميامين، ذكرى نقف عندها في مثل هذا اليوم من كل سنة وقفة تأمل وادكار وتبصر واعتبار في موعد مع التاريخ لاتتخلف أنت وأنا عن ميقاته ، نظل طول السنة نتطلع الى ملاقاته لاتقر لنا عين الا عندما تسطع علينا شمسه ويحفنا أسرة واحدة متماسكة فرحه وأنسه ، رابطين في الاحتفال بين الماضي الزاهر التليد والحاضر المشرق السعيد .

إنك - شعبي العزيز- تنتمي الى وطن يحق لك أن تزهى بتاريخه الضارب في القدم، ظلت فيه بلادنا شامخة راسخة القدم تحقق الانتصارات وتسجل النجاحات وتتغلب على ما يعترضها أحيانا من صعوبات . والتاريخ في الحقيقة كله كذلك انتصارات واخفاقات ونجاحات واحباطات وصعوبات وأزمات .لكن لا يثبت من الأمم في امتحانه العسير الا تلك التي تفوق نجاحاتها اخفاقاتها.

والمغرب - ولله الحمد- من نوع هذه الأمم التي سجل تاريخها على مداه الطويل صفحات المجد الناصعة وتميز في جميع عهوده بمحطات شمسها متألقة ساطعة.

وقليلة هي الدول التي امتد نظامها كما امتد نظام المغرب أزيد من اثنى عشر قرنا دون أن يضعف لها ذراع أو يخبو لها شعاع. لكن بلادك - شعبي العزيز- ظلت طيلة القرون شامخة الصرح، عزيزة المنال تتمتع بمنة الاستمرار وتحظى- بفضل الله - بنعمة الاستقرار حتى لتؤلف مسيرتها منذ ادريس الأول المؤسس الى عهدنا هذا، مسلسلا من حلقة واحدة تبدو في شكل عقد مرصع بدرة زاهية ماجدة هي عرشك أولى المؤسسات وأسماها وأحبها وأغلاها عنه انبثقت سائر المؤسسات وإليه تعود رعايتها وتحصينها وصيانتها. لذا فإن من ائتمنه الله على مسؤولية اقتعاد هذا العرش يشعر بثقل أعباء التكليف ويرفع مسؤوليته فوق مظاهر التشريف لأن ممارسة دور الملك أمير المؤمنين وحامي الملة والدين أمانة لا يتم تحملها إلا بالقيام بها على الوجه الأتم الأكمل وموالاة الاجتهاد وموصول الجهد لتحسين أدائها كل يوم أكثر وأفضل.

وإننا لنحمد الله سبحانه أن وفقنا منذ أن قلدنا مسؤولية قيادتك للاضطلاع بهذه الأمانة بما وفره لنا من عزم لم يعرف التراجع وجهد لم يصبه تضوب مما جعلنا نوالي خدمتك لا يعترينا بعون الله نصب ولا يمسنا لغوب. ورجاؤنا في العلي القدير أن يمدنا دائما بمدده ويعيننا على ما نحن بصدده، إذ ما يزال أمامنا الكثير مما نطمح الى تحقيقه لك من منجزات ما أشد حرصنا على تضمينها في سجل أمجادك حتى نمضي في الغد كالأمس لا نألو جهدا في خدمتك وإسعادك.

وطيلة الأربع والثلاثين سنة الماضية لم ندخر جهدا في تعميم التعليم والتكوين والتربية ولا ضعف لنا عزم في إحكام الخطط لتحقيق شامل التنمية ، حامين وحدة المغرب الترابية ومرسخين مكانته في المجتمعات الدولية، دافعين بك - شعبي العزيز- على طريق التقدم وقائدين مسيرتك على مسالك التطور والتأقلم مع مقتضيات عصرنا الذي لا يقبل المتأخرين ولا يغفر للمتخلفين ، حريصين مع ذلك على التوفيق بين مقتضيات الأصالة والمعاصرة ومتشبثين بمثلنا الحضارية ومحافظين على هويتنا التاريخية إذ بجميع ذلك يظل المغرب الجديد امتدادا لعهود التاريخ المجيد.

وهذه - شعبي العزيز- معادلة صعبة لا ينجح في حل إشكاليتها ووضع أرقامها في موضعها الصحيح إلا الأمم الملهمة فضيلتي الصبر والمصابرة المحققة أهدافها بكامل الجدية وموصول المثابرة ، الأمم التي تعرف وتحقق ما تريد وتتطلع دائما الى المزيد.

إننا حرصنا دائما على أن لا يكون التقدم الذي نطمح أنا وأنت الى تحقيقه - شعبي العزيز- مسخا لقيمنا أو انتكاسة لمثلنا أو تشويها لصورتنا أو طمسا لهويتنا . بل جعلنا التقدم في خدمة طموحنا المتمثل في أن يظل المغرب نفسه وذاته لا يشكل حاضره في ظل التقدم قطيعة مع ماضيه ولا يحجزه ماضيه بما يجعله يسير في وجهة معاكسة للتطور المحتوم الذي لا يغالبه أحد إلا غلب ولا يتجاهل حركيته أحد إلا جرد من نعمة البقاء وسلب.

لذا ظللنا طيلة عهدنا نرصد التطور الحاصل في بلادنا ونقيمه ، دائما نشجعه وعند الاقتضاء تارة نقومه ليظل سير التطور مستقيما وأداؤه سليما.

وإن الخطوة الكبرى التي قطعناها ولك شعبي العزيز برغبة تلقائية منا انجزناها لهي نقل المغرب بمجرد ما أخذنا المسؤولية إلى عهد الديمقراطية المتشخصة في الملكية الدستورية باقرار دستور أبينا أن يكون ممنوحا بل عرضناه على الاستفتاء لموافقة شعبنا عليه بكامل الحرية مما أضفى على مبادرتنا شكل ثورة قانونية حققنا بها طفرة نوعية.

ومنذ إقرار هذا الدستور ونحن كلما عن لنا من شعبنا ميل الى تعديله إلا وطرحنا على الاستفتاء الشعبي التعديلات التي نراها ضرورية أو بالغة الأهمية.

وهكذا في ظرف ثلاثين سنة عدلنا أربع مرات بعض مقتضيات الدستور متوخين دائما أن نحسن أداء الديمقراطية ونرفع من مستوى مؤسساتنا الدستورية مما جعل كل تعديل يزيد في حجم اختصاصات المؤسسات ويقويها ويغنيها ويثريها.

وآخر هذه التغييرات التعديلات الجوهرية العميقة التي عرفها دستور سنة 1992 والتي أصبح بها نظامنا الدستوري لا يقل ديمقراطية عن نظم الأمم التي لها في تاريخ الديمقراطية عهد طويل ومقام أصيل.

ومع ذلك ، فإن الدستور رغم سمو مقامه ومكانته عمل بشري قابل دائما للتطوير والتعديل والتغيير . لكن لابد لتعديله من توفر شروطه الموضوعية وفي طليعتها

استعماله في تجربة يثبت معها بالممارسة المستمرة قوته وصلاحيته أو ضعفه وهشاشيته فيصار في هذه الحالة الأخيرة الى تعديله بما يساير التطور الجديد ويضمن للشعب في مجال المشاركة في الحكم المزيد.

وإننا لنعلم أنك - شعبي العزيز- قمين بأن تتطلع الى كل تغيير إيجابي . لكننا نعلم أنك لا تقبل من أشكال الأداء الديمقراطي الا ما يحافظ على تعاون المؤسسات السياسية في نسق متلائم وأداء متناغم . وأنك حريص على أن تظل مؤسسة الملكية كما كانت عبر التاريخ الملجأ والملاذ، والجالس على العرش القائد الذي لا ينتمي ولا يتحيز الا للجميع والحكم الذي تهفو اليه القلوب في الملمات وترجع اليه في الصعوبات والازمات ليدوم على بلادنا استمرارها ويترسخ على أرضية ثابتة استقرارها.

ولقد عشت - شعبي العزيز- ما أدخلنا مؤخرا على بعض تشريعاتنا من تغيير إما لكونها أصبحت متجاوزة وإما لأن مقتضياتها تتنافى مع إرادتنا الثابتة في ترسيخ دولة الحق والقانون ودعم الحريات الديمقراطية وإحقاق حقوق الإنسان التي أسسنا للنظر فيها والسهر على حمايتها مجلسا استشاريا بجانبنا وخلقنا من أجلها لنفس الغاية وزارة خاصة. كما أسسنا المحاكم الإدارية للحد من التعسف والشطط في استعمال السلطة وأدمجنا في تعديلات الدستور إنشاء مؤسسة المجلس الدستوري الذي أصبح يمارس سلطات أوسع وأشمل من الغرفة الدستورية السابقة. وهذه وغيرها مما يتصل بمجال ترسيخ دولة الحق والقانون ثوابت في سياستنا لا تزول وخيارات لا تتغير ولا تحول.

وإنك ـ شعبي العزيز ـ لتعرف ما تتمتع به اليوم بلادنا في المجال الدولي من مصداقية وما يقتعده المغرب في الخارج من مكانة مرموقة زاهية بفضل ما تميزت به سياسته الدولية من تفتح وعقلانية أهلاه لاحتضان عدة ملتقيات عالمية.

ونحن مؤمنون أن سر هذه النجاحات يكمن فيما يطبع جهدنا أنت وأنا من وفاق ووئام وما يميز علاقتنا ـ ولله الحمد ـ من انسجام بل التحام.

شعبي العزيز

لقد حفلت السنة الفارطة بوقائع وأحداث كثيرا ما كان ضغطها قويا شديدا. فرغم مقاومة مفهوم الدولة ـ الوطن من أجل البقاء وإصراره على الاستمرار - فإن الميل الى

الكونية والعالمية أضحى يشق طريقه ، وهذا هو الاتجاه الذي تجلى خلال التظاهرات الأربع التي احتضنتها بلادنا على التوالي بمراكش والدار البيضاء ويفرن.

وإنه لطبيعي أن يظل المغرب على مدى تاريخه الطويل أرض اللقاءات والتساكن والتسامح ما دام يربط بين قارتين ويشكل نقطة الالتقاء بين بحرين دافقين بالعطاء.

وقد ساهم بالطبع تمازج الأفكار وتلاقح الخصوصيات وتشابك التنوعات في إعطاء شعبنا وجها مشرقا واحدا ولكن متعدد القسمات ، وهو ما خوله الميزة التي تطبع شخصيته القوية ذات الأصالة الثابتة وتضمن في نفس الان انفتاحه الواسع على الاسهامات الخارجية.

إن هذا المغرب السخي المضياف عرف على امتداد القرون كيف يحافظ على أفضل الروابط مع الآخرين وكيف يحترم ما لكل منهم من فروق وتنوعات.كما أن المغرب المتفتح الرافض رفضا باتا للغلو والتعصب عرف كيف يبني شخصيته ويرسخها في خضم التقلبات التي يجيش بها التاريخ . وان شخصيته المتميزة هذه لهي التي أهلته لأن يتكيف مع التطورات العديدة دون أن يتردى في هوية التبعية أو ينتاب وجهه المشرق تشويه.

واخر مثال على ذلك هو الحماية التي زرعت في كيانه كجسم غريب والتي لم تكن في تاريخه سوى عارضة بين قوسين في النهاية.

ومع ذلك ، فكم من مناورات ومجهودات بذلت لتفرقتنا وتشتيتنا وتحويلنا الى فسيفساء ،قبائل متفرقة مبعثرة ، ركاما بعضه فوق بعض.وقد خرجت - ولله الحمد - أصالتنا من هذه الحرب غير المعلنة أشد قوة وأعلى شأنا بفضل الكفاح المستميت الذي خاضه الشعب والملك ضد الغزاة.

إن ما امتاز به والدنا المنعم ، صاحب الجلالة محمد الخامس ـ قدس الله روحه ـ من بصيرة نافذة الى الاعماق وتبصر حكيم وما كان يتحلى به من روح التفاني وما بذله من تضحيات هو الذي جعل الشعوب الافريقية الاخرى تتخذه مثالا يحتذى وقدوة تتبع لتحقق بدورها استقلالها وتتحرر من أغلال الاستعمار.

وما أن حقق المغرب استقلاله واستعاد سيادته الكاملة حتى دخل بنفس الصلابة وقوة

العزيمة معركة أخرى لصنع مصيره بنفسه وانجاز مشروعه الكبير... مشروع البناء والتشييد.وقد قطعنا في هذا المجال مسافة طويلة تعددت معها في جميع الميادين مكتسباتنا وتنوعت فيها - حمدا لله - عطااتنا وانجازاتنا.

شعبي العزيز

إننا لا ننوي بهذه المناسبة أن نقوم بجرد شامل لما تحقق خلال السنوات الأخيرة .فنحن على يقين أن لمحة عابرة تشكل ومضات مضيئة تكفي لتقتلع شكوك المرتابين وتشجع على مواصلة العمل المقدامين الموقنين.

وبفضل ما كان لصاحب الجلالة محمد الخامس - تغمده الله برحمته في واسع جنانه - من بعد نظر وحكمة استمرت البلاد تحت قيادته غداة استقلالها محافظة على بنياتها الاساسية . واقتصرنا على تحويل هذه البنيات بما يجعلها تتلاءم مع الوضع الجديد، وتوخينا منها أن تكون كاملة شاملة لخدمة مصالح شعبنا وتركيز استقلالنا. وهكذا يمكننا اليوم أن نفاخر بأن لنا إدارة سليمة ثابتة الأسس ، مستكملة البنيات ومحققة في جميع الظروف تسيير شؤون البلاد تسييرا حسنا.

وموازاة مع ذلك ، وفي الوقت الذي كانت فيه مذاهب أخرى تطغى في العالم اخترنا نحن - بما لا رجعة فيه - العمل بالنظام الديمقراطي لإشراك شعبنا في تدبير شؤون الأمة.

وقد أحطنا هذا الاختيار بكامل عنايتنا وحرصنا سنة بعد أخرى على تحسينه وتتميمه. وإذا كانت ديمقراطيتنا ربما لم ترق بعد الى أوج الكمال ، فهي مع ذلك واقع قائم وأمل محسوس وملموس على جميع الاصعدة. وإن همنا الشاغل أن نجعل منها الأداة الفاعلة لخدمة مصالح شعبنا والدفاع عن حقوقه المشروعة. وهكذا نمضي مثابرين سالكين هذا المسلك الرشيد ، مستعينين دائما بكل ما قد يرشدنا ويدلنا على التعرف على الاوضاع الحقيقية التي يعيشها رعايانا. ولذا أنشأنا المجلس الاستشاري لحقوق الانسان الذي برهن على فعالية مثالية في انجاز مهمته وأثار انتباهنا بكل إخلاص وولاء وموضوعية الى كل ما ينبغي أن يتخذ في مجال حقوق الانسان مما يضمن رفع مستوى المغرب بين البلدان الكبيرة الحريصة على الحفاظ على تلك الحقوق والذود عنها.

كما أسسنا بعد ذلك المجلس الوطني للشباب والمستقبل لاستئصال الجرح الذي يشكله تعداد الشباب العاطلين، ونحن واعون تمام الوعي أن وضعية الشباب المحروم من العمل تستدعي جهدا حقيقيا على مستوى تصور الفكر المبدع لإيجاد حل لها وعلى مستوى مساهمة الجميع بحكم واجب التضامن الوطني.

وتتميما لحلقات الاليات القانونية والمؤسساتية أحدثنا مؤخرا بجانبنا المجلس الاستشاري لمتابعة الحوار الاجتماعي.

إن عالم الشغل يمر اليوم فعلا بفوران مزعج حيث تتفشى في كل جهة من العالم البطالة حيث لم يسلم منها أي بلد . بل تعاني منها حتى البلدان التي تحقق انجازات اقتصادية عالية المستوى.

ومعلوم أن مجتمعنا يتركب من طبقات وشرائح مختلفة مثله في ذلك مثل سائر المجتمعات في العالم . ولكل قطاع ـ كما هو معلوم ـ مصالحه الخاصة به المخالفة لمصالح القطاعات الأخرى.

والمصالح تتباين بطبيعتها بل يتعارض بعضها مع البعض في بعض الأحيان مما يجعل هذا التعارض يؤدي غالبا الى نزاعات مضرة بالقطاعات المعنية نفسها إذا لم تؤخذ جميع المصالح بعين الإعتبار.

ومهمة مجلسنا الجديد هو أن يمكن ممثلي الفئات المختلفة من استمرار الاتصال فيما بينها عن طريق الحوار المستمر الفعال.

إن ما اثارته عملية الخوصصة لدى شعبنا من اهتمام وحماس لدليل جديد على أن مجتمعنا قد نضج وأن المغاربة واعون أكثر فأكثر بضرورة وأهمية ارتباطهم مباشرة بتسيير مشاريع البلاد وتدبيرها، فالطلبات فاقت العروض خمس وست مرات.

وقد تمت الخوصصة بانتظام وفعالية، وحرصنا على أن تتخذ جميع التدابير لتتسم العمليات بالشفافية اللازمة والموضوعية الكاملة.

ولتلافي الوقوع في الخطأ ولتجنب كل تقييم بخس للمقاولات المعروضة للخوصصة استعنا بكبار الخبراء الدوليين لدرجة أن الحصيلة المتوفرة اليوم تعدت بكثير التوقعات الأكثر تفاؤلا.

وعلى صعيد آخر، انجزنا مؤخرا عملية احصاء وطني للسكان . وتجند لمباشرتها زهاء ثمانين ألفا من الأشخاص وأتموها على الوجه الأكمل.

وقد لا تعطي الأرقام التي تضمنتها النتائج التي أبلغناها والتي نشرت على العموم فكرة واضحة عن الأهمية الحقيقية للعملية نظرا لجفاف هذه الارقام . لذا أعطينا حكومتنا تعليمات تقضي بتنظيم نقاش واسع حول الإحصاء ونتائجه واثاره . وسيشارك في هذا النقاش ممثلو الأحزاب السياسية وأساتذة الجامعات والباحثون والأخصائيون في علم الاجتماع وعدد آخر من الخبراء المتخصصين . ومن وراء ذلك ننتظر استنتاجات كاشفة موضحة لتعتمد كسند عند وضع أسس السياسة الجديدة التي نعتزم سنها خاصة في الميدان الاجتماعي وما يهم العالم القروي.

شعبي العزيز:

إن مسألة التعليم في بلادنا أكبر ما يستأثر باهتمامنا لأن أمر التعليم أمر حيوي لاتصاله وارتباطه بتربية أبنائنا وتكوين الإنسان المغربي.

وقد عرف التعليم ببلادنا مستويات مختلفة وقطع مراحل عديدة. كما أنه حقق وثبة بعيدة الى الأمام إذا ما قارناه بما كان عليه في عهد الحماية وأوائل استقلالنا. إنها وثبة على المستوى الكمي والمستوى الكيفي في آن واحد..

ولكن رغم التقدم الذي تم تحقيقه فإن الموضوعية والنزاهة - وهما يطبعان دائما جميع توجهاتنا السياسية - يحملاننا على أن نسجل أنه ما يزال هناك الشيء الكثير الذي علينا أن نقوم به لرفع التحديات الجديدة التي يواجهها حاليا قطاع التعليم حيث لا يفتأ يواجه نقصا في العديد من الاوجه.

إن إنجاح التقويم والتصحيح الواجب إدخالهما على نظامنا التعليمي يتطلب أن يتم تصور هذا النظام ومعالجته في إطار سياسة يطبعها التماسك والانسجام ، تتجه نحو المستقبل وتتسم بمرونة كبيرة.

والتعليم مسألة تهم الجميع وكل واحد على انفراد. وهي مسؤولية جماعية يلتقي على ممارستها كل من الدولة وأولياء التلاميذ والأساتذة والمعلمين والفعاليات الاقتصادية. ولذا فكل سياسة تتبع في شأنها يجب أن تكون محل اتفاق بين الجميع

لتلافي كل تعثر وانحراف. ومن أجل ذلك أعطينا ـ مستلهمين من هذا التوجه ـ في بداية هذه الدورة التشريعية توجيهاتنا في خطاب ملكي وجهناه الى مجلس النواب ليعمل على تنظيم نقاش ومداولات يتناقش فيها ممثلو الشعب وشخصيات مختلفة ذات علم وخبرة مع مساهمة حكومتنا فيها للوصول الى وضع الأسس اللازمة لسياسة تكون حصيلة للتوافق الوطني العام ، خالية من كل اعتبار ديماغوجي ومن أي تعصب حزبي أو طائفي. ولنا اليقين أن ما سيتمخض عن هذه المداولات من نتائج سوف يضمن لأبنائنا التكوين الملائم المنشود.

شعبي العزيز

كنا أعلنا ـ بمناسبة افتتاح الدورة البرلمانية الحالية يوم 14 أكتوبر من السنة الماضية ـ عن عزمنا على تأسيس حكومة تناوب تتكون أساسا من أحزاب المعارضة وبمعية الأحزاب الأخرى التي تريد الالتحاق بها لتأليف تحالف يتوفر على أغلبية عددية داخل مجلس النواب.

والواقع أن كل ما فعلناه هو العودة للفكرة التي كنا طرحناها منذ أكثر من سنتين، عندما عرضنا على أحزاب المعارضة نفسها تكوين حكومة أقلية التزمنا لها أن نضمن استمرارها لمدة سنتين أو ثلاثة.

وكان يحدونا في هذا المسعى مواصلة ما دأبنا عليه من إحاطة جميع رعايانا بدون استثناء بعنايتنا ورعايتنا ، لم نفضل قط من بينهم لا فئة ولا شريحة ولا طبقة اجتماعية على أخرى . ودائما وفي جميع الظروف وضعنا نفسنا فوق جميع الاعتبارات لا يلهمنا في عملنا إلا ما هو في خدمة المصلحة الكبرى للأمة.

ولأننا نضع نفسنا فعلا في خدمة هذه المصلحة الكبرى للأمة ، قررنا تحويل مجرى الأمور لنجعلها أكثر ملاءمة مع حركة التطور والمعطيات الجديدة للمجتمع. فالعالم كله عرف تغييرات عميقة قلبت كل الاسس بما في ذلك الرؤيا التي كانت سائدة عن طبيعة المجتمع الدولي . ذلك أن جانبا مهما من هذا المجتمع هوى بكامله ، مبرزا عن نفسه للعالم مظهرا غير منتظر بدأ فيه نظام القطبية وقد انقلب رأسا على عقب.

وكان من الطبيعي والحالة هذه أن يسعى المغرب بدوره الى التلاؤم مع النظام

الجديد. فمبررات الانحسار والانقطاع التي كانت واردة فيما مضى لم يعد لها وجود.

ومما خفف من حدة الصراعات الطائفية والمذهبية تكريس التساوي وترسيخ التقارب بين مختلف النزعات والحساسيات عبر العالم.

وفيما يخصنا، ارتأينا - والحالة هذه - أنه من الطبيعي - وحتى من الواجب علينا - أن ندعو الى إدارة الأمور العامة أولئك الذين كانوا قد انقطعوا عنها تمسكا بنظرية ومذهبية انقرضتا اليوم. وسنثابر على بذل جهودنا في هذا السبيل اقتناعا منا بأن الواقعية سوف تنتصر في النهاية.

شعبي العزيز

بعد أن لم يتأت تحقيق التناوب على الحكومة أسسنا حكومة معظمها من بين الأغلبية البرلمانية الحالية جل أعضائها - أن يكونوا كلهم - رجال عرفوا بخبرة في ممارستهم للأمور وبولائهم وتعلقهم المتين بمؤسساتنا. ولن تحيد هذه الحكومة عن الخطوط التي رسمناها لسياستنا العامة وستولي - طبقا لتوجيهاتنا - عناية قصوى للجوانب الاجتماعية من سياستنا ولإنعاش العالم القروي وتنميته ، ذلك العالم القروي الذي نعتقد أن الأوان قد آن لإنصافه وتخويله فرصته الاساسية ليأخذ مكانه الجدير به في المجتمع المغربي وليشارك أكثر وأشد في تنمية البلاد وتقدمها حضاريا وثقافيا.

شعبي العزيز

بالرغم من كثافة النشاط الذي بذلناه لصالح البلاد داخل المغرب خلال السنة المنصرمة قمنا بمسؤوليات دولية مكثفة كذلك. فالمغرب العضو الفاعل في المحفل الدولي يتحمل مسؤولياته كاملة ويوفي بانتظام وصدق واخلاص بجميع التزاماته، الأمر الذي يجلب له من جميع شركائه الاعتبار والتقدير.

وبفضل ما تتحلى به سياستنا من حسن السلوك والاستمرارية والاحترام العميق للقواعد التي تحكم العلاقات بين الامم وبحكم تعلق هذه السياسة المتينة بالشرعية الدولية فقد ساهمت في إبراز المغرب في صورة بلد متزن ، معتدل ، تطبع الحكمة مواقفه وسلوكه الدولي ، بلد متعلق بالسلم ، عامل بدون كلل من أجل إقامة علاقات أخوية بين الشعوب والأمم. وهذا ما جعل أنظار الدول العظمى تتجه تلقائيا إليه.

ونظرا لما يتحلى به بلدنا من انفتاح وتسامح ونبذ للتعصب ولنزعة الرفض وما يمتاز به من كرم وسخاء وحرارة الاستقبال التي يجيدها سكانه ويخصصونها للوافد عليهم فإنه سرعان ما أصبح القبلة المثالية للقا ات الكبرى والتظاهرات المهمة حيث تحدد غالبية التوجهات الاساسية للسياسة الدولية.

وهكذا تم بمراكش في شهر أبريل 1994 عقد المؤتمر الوزاري للإتفاقية العامة للتجارة والتعرفة الجمركية الذي أنهى جولة الأوروغواي المبتداة قبل سبع سنوات واضعا بذلك خاتمة لأكبر المفاوضات التجارية طموحا في تاريخ الإقتصاد الدولي.

وبهذه المناسبة قدمت مراكش للعالم أجمع إحدى تلك اللحظات الممتازة من التاريخ التي تجد فيها الإنسانية من الطاقة والدوافع الخلقية ما يجعلها تبتكر لنفسها مشروعا جديدا وتبعث الأمل في غد أحسن.

وقد أشرفنا بنفسنا على اختتام هذا المؤتمر الذي أنشأ المنظمة العالمية للتجارة مكرسا بذلك دولة القانون في العلاقات الاقتصادية والتجارية الدولية ومرجحا قواعد الانضباط الجماعي العالمي على محاولات الإنفرادية وتغليب إرادة الأقوى.

وقد طالبنا بالحاح الدول الغنية أن تزيد من مساعداتها للدول الأشد احتياجا حفاظا على الانسجام والتوازن بين الشعوب واقترحنا بالخصوص إحداث «برنامج مارشال» جديد لفائدة افريقيا ، قارتنا العزيزة.

وبعد مراكش جاء دور الدار البيضاء لاستقبال المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال افريقيا ، وهو المؤتمر الذي عقد برئاستنا وشرف الرعاية المزدوجة لصاحبي الفخامة الرئيسين بيل كلينتون وبوريس يلتسين.

ولم يكن اختيار الدار البيضاء محض صدفة. فهذه المدينة كانت أولى بقعة في العالم انطلقت منها جنود الحرية خلال الحرب العالمية الثانية. وفيها انعقد مؤتمر أنفا الذي كان عليه وضع العلامات الأولى لخريطة عالم ما بعد الحرب.

إن اختيار الدار البيضاء كان إذن تكريما للإخلاص للقيم الكونية الكبرى وتقديرا للكفاح من أجل الازدهار في إطار السلم التي كانت تبدو قاصية المنال . ولكن ثابرنا على العمل من أجلها ما يزيد على عقدين الى أن أصبحت تبدو اليوم في متناول اليد.

ورغم أننا اعتمدنا التفاؤل دائما في توجهاتنا كأساس ضروري لكل عمل فإن هذا التفاؤل أصبح شيئا ما مزعزعا من جراء تعثر مسلسل السلام في الأسابيع الأخيرة.

وإننا نعتبر شخصيا أن إنقاذ هذا المسلسل من الإجهاض يتمثل في أن تقتحم الأطراف المعنية بكل شجاعة سبيل المعالم التي اتفق عليها في أوسلو ومدريد وواشنطن وأن تتضافر الجهود لطي المسافة بالسرعة والحكمة اللازمتين وأخذ نفس جديد يساعد على كسب رهان السلم التي أصبحت خيارا لا رجعة فيه.

وقد كان الهدف الأساسي للمؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا هو بالذات دعم السلم وتوفير الوسائل لها لتستتب وتدوم وتبقى في مأمن من المخاطر. أو بعبارة جامعة كان المراد وضع الاقتصاد في خدمة السلم.

وهكذا فإن مسلسل السلم الذي انطلق من مدريد ثم تبلور في واشنطن تواصل بشكل طبيعي بالدار البيضاء حيث تعزز ببرنامج للتعاون الجهوي يرتكز على تنمية اقتصادية مشتركة متوازنة.

وقد انتهت أشغال المؤتمر التي كانت مثمرة ومفعمة بالدلالات الى وضع المعالم والأسس لمجتمع جديد لمنطقتنا تستطيع الاجيال القادمة - كما نتمنى - أن تنعم في ظله بالسلم والطمأنينة والإزدهار والإستقرار.

وفي أقل من شهرين بعد انتهاء هذا المؤتمر انعقدت في شهر دجنبر 1994 بالدار البيضاء أيضا قمة منظمة المؤتمر الإسلامي. وهي قمة جاءت في وقتها المناسب.

إن الاسلام - شعبي العزيز- موجود في كل جهة من جهات العالم . وهو ينتشر في جميع القارات وينصهر في سائر الحضارات والثقافات ويطفح بقدر وفير من الطاقات والامكانات . وكل شيء يرشحه لخدمة الإنسانية بروح من التعاون الصادق المخلص مع المجموعات الأخرى.

إلا أن نجاح الاسلام وانتصار تعاليمه وقيمه يخلقان له عددا من المناوئين ويثيران حوله نوعا من الهيجان الذي لا يفور دائما بالتعاطف معه. فثمة مؤامرات حقيقية تدبر ضده وغالبا ما يقدمه أعداؤه وكأنه مدرسة للكراهية ودين مختل متحجر ومتعصب.

ومما يخدم أطروحة خصوم الاسلام الخاطئة وجود عناصر تتسم بالغلو في بعض البلدان

الاسلامية ، تحمل لواء الإسلام لغرض وحيد هو اشفاء ما في صدورها من حقد وغل وطمع في الاستيلاء على الحكم بينما هي واعية أنه لا سبيل لها إليه إلا بالطرق المشروعة التي ينادي بها الإسلام نفسه.

وبهذا التصرف المشين تشوهت صورة ديننا الحنيف في نظرة الغير مع أن ما يتبادر منها للملاحظ لا يمت بأدنى صلة الى قيم الاسلام الخالدة وتعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وإن قمة الدار البيضاء التي انعقدت تحت شعار" الأخوة والانبعاث "أدركت تمام الإدراك الخطر الذي يهدد ديننا وتوصلت في نهاية أشغالها الى تحديد الطرق والوسائل القمينة بإعطاء الاسلام بعده الحقيقي من جديد كدين متفتح متسامح ، قادر على التكيف مع مسيرة التطور العالمي.

وبعد هذه القمة احتضنت مدينة يفرن أشغال لجنة القدس التي يخصها المسلمون - حيثما وجدوا عبر العالم - بحب وتعلق ويتوجهون بأبصارهم إليها بإجلال.

ولذا أنشأت منظمة المؤتمر الاسلامي لجنة دائمة مكلفة بالسهر على مصيرها والتصدي للمحاولات الهادفة الى تهويدها ومسخ معالم الاسلام فيها.

إن مدينة القدس تخضع منذ 1967 للإحتلال الاسرائيلي الذي لا يفتر عن طمس مالها من طابع أصيل وما بها من اثار اسلامية ومسيحية ممتدة عبر القرون.

ولقد كانت أشغال دورة لجنة القدس كثيفة مثمرة. وإن ما أولاه كل وفد من عناية بجميع ما يتعلق بالمدينة المقدسة وما خصصه من دراسة متعمقة مسؤولة لجدول الاعمال لما ترتاح له النفس ويبشر بالخير.

وباقتراح منا قررت اللجنة إحداث وكالة للقدس تحت اسم بيت المال هدفها جمع الأموال من المصادر العمومية والخاصة بهدف صيانة المدينة المقدسة وتحريرها.

ولن تحل هذه الوكالة محل صندوق القدس الموجود من قبل الذي سيستمر في أداء مهامه. وستعمل تحت إشراف لجنة القدس كما ستمثل فيها بواسطة وزراء المالية الجهات الثلاث التي تتكون منها منظمة المؤتمر الاسلامي.. أي المجموعة العربية والأسيوية والإفريقية.

ساهم في أعمال اللجنة الرئيس ياسر عرفات الذي كان بجانبنا مساهمة فعالة ودارت أعمال هذه اللجنة في جو مفعم بالمودة والأخوة وحسن التعاون وأكدت عزم المشاركين - فرادى وجماعات - على تحرير القدس الشريف في أقرب الآجال حتى يتحقق ما نتطلع اليه ، هو أن تكون القدس الشريف عاصمة لدولة فلسطين.

شعبي العزيز

تلكم كانت السنة التي عشناها طافحة بالاعمال ، حافلة بالآمال ، مثمرة من النتائج ما تجعلنا نأمل في أن تكون واعدة مبشرة بمستقبل يعمه لصالح الجميع السلم والهناء والإزدهار والرخاء.

إنه لواجب علينا - شعبي العزيز - أن نتوقف في هذه اللحظة التاريخية للإشادة بأولئك الماهدين الذين سبقونا الى اعتلاء هذا العرش المكين ، حماة الديار وبناة الأمجاد، من تفانوا في خدمة البلاد ورفعوا رأس المغرب شامخا وتركوا له في التاريخ أثرا راسخا من المولى ادريس الأول الى والدنا المنعم ، جلالة الملك محمد الخامس أثابهم الله جميعا في دار الرضوان وأجزل لهم المثوبة والغفران.

و على روح والدنا الطاهرة محمد الخامس المنعم ندعو بالثواب الجزيل ونترحم سائلين الله أن يهبه في دار النعيم على قدر ما أعطى لربه وبلاده ووفى وما جاهد لسعادة شعبه وضحى ، داعينه سبحانه أن يجعله في جوار النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ونعلن عن بالغ تقديرنا وسابغ رضانا لقواتنا المسلحة الملكية وقوات الدرك الملكي والأمن والقوات المساعدة على جهدهم الموفور وانضباطهم واستعدادهم الدائم المشكور. ونلتفت التفاتة محبة أبوية الى المرابطين من قواتنا في صحرائنا المغربية ، الساهرين بجانب إخوانهم المدنيين على سلامة تلك الديار وتحصينها من فلول البغي والخراب والدمار..

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يمطر شآبيب رحمته وسحب ثوابه ومغفرته على شهدائنا الذين سقطوا في معركة التحرير ليعيش الوطن بعدهم في أمان وسعادة واطمئنان.

اللهم إنك تعلم ما أجهر به وأسر وما أعلنه وأضمر وإنك تعلم أن قلبي يجيش بحب شعبي حبا لا ينضب له معين . فكن لي لتحقيق ما أسعى له الولي المعين وقوني على متابعة مسعاي بحولك وقوتك حتى أبلغ غاية قصدي . إنك سميع مجيب.

«إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب» صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.